مثال آخر وأخير:

في معنى الوجه، ودفاعه عن عقيدته في أنّ لله تعالى وجهاً على الحقيقة، قال في ما حكاه من مناظرةٍ له مع بعض العلماء في العقيدة، قال:

فأحضر بعض أكابرهم كتاب (الأسماء والصفات) للبيهقي، فقال: هذا فيه تأويل الوجه عن السَّلَف.

---

(١) كشف الظنون ٢ ١٤٣٨.

فقلتُ: لعلّك تعني قوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾[١]؟.

فقال: نعم، قد قال مجاهد والشافعي: يعني قبلة الله[٢].

فقلت: نعم، هذا صحيح عن مجاهد والشافعي وغيرهما، وهذا حقّ، وليست هذه الآية من آيات الصفات، ومَن عدّها من آيات الصفات فقد غلط، كما فعل طائفة، فإنّ سياق الكلام يدلُّ على المراد، حيث قال: ﴿ وَلِلهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ والمشرق والمغرب: الجهات.

والوجه: هو الجهة، يقال: أيّ وجهٍ تُريد؟ أي: أيَّ جهةٍ؟ وأنا أُريد هذا الوجه، أي: هذه الجهة. كما قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾. ولهذا قال: ﴿ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ أي: تستقبلوا وتتوجَّهُوا. والله أعلم[٣].

تُرى والآيات الأُخر التي ذكرت الوجه، هل قال أحد من السَّلَف أنّ المراد هو الوجه على الحقيقة؟.

الحقّ أنّ من زعم ذلك فقد افترى على السَّلَف افتراءً عظيماً، وبين يديك جميع التفاسير التي نقلت أقوال السَّلَف، كتفسير الطبري، والبغوي، والقرطبي، والدرّ المنثور وغيرها. وعُمدة الشيخ في عقيدته: قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾[٥].

فماذا قال فيها السَّلَف؟.

---

(١) البقرة ٢: ١١٥.

(٢) الأسماء والصفات: ٣٠٩.

(٣) العقود الدرّيّة: ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

(٤) القصص ٢٨: ٨٨.

(٥) الرحمن ٥٥: ٢٧.

قال الطبري: واختُلف في معنى قوله ﴿ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ فقال بعضهم: معناه كلُّ شيءٍ هالكٌ إلّا هو.

وقال آخرون: معنى ذلك: إلّا ما أُريد به وجهه. واستشهدوا لتأويلهم بقول الشاعر:

أستغفرُ اللهَ ذنباً لستُ مُحصيه ... ربَّ العباد إليه الوجهُ والعملُ [1]

ولم يزد على هذا حرفاً واحداً.

وقال البغوي: ﴿ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ أي إلّا هو. وقيل: إلّا مُلكه.

قال أبو العالية: إلّا ما أُريد به وجهه[2]. ولم يزد فوق هذا كلمةً واحدة.

وفي الدرّ المنثور: عن ابن عبّاس، قال: المعنى إلّا ما يريد به وجهه.

وعن مجاهد: إلّا ما أُريد به وجهه.

وعن سفيان: إلّا ما أُريد به وجهه من الأعمال الصالحة[3]. وليس فيه كلمة واحدة زائدة على هذا المعنى.

ومثل هذا تجده عند تفسير آية سورة الرحمٰن[4].

وأمّا سائر الآيات الأُخر فالمراد من ذكر (وجه الله) فيها هو ثوابه، كما عليه أصحاب التفسير من السَلَف والخَلَف، وتلك الآيات جميعها هي:

---

(١) تفسير الطبري ٢٠: ٨٢.

(٢) تفسير البغوي ٤: ٣٦٤.

(٣) الدرّ المنثور ٦: ٤٤٧.

(٤) تفسير القرطبي ١٧: ١٦٥.

ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾[١].

ـ وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾[٢].

ـ وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾[٣].

ـ وقوله: ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾[٤].

ـ وقوله: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾[٥].

ـ وقوله: ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴾[٦].

فمن أين أتى بتفسير الوجه على ظاهره ؟.

وهنا غريبتان لابُدّ من ذكرهما:

الأُولى: نقلُه في غير موضع عن الإمام مالك وقد سأله رجل عن معنى الاستواء على العرش، فقال مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلّا رجل سوء. فأمر بإخراجه فأُخرج من المجلس[٧].

تُرى ما عسى أن يقول مالك في رجلٍ أفنى عمره خوضاً في هذا الباب تحديثاً وتصنيفاً ؟!.

---

(١) البقرة ٢: ٢٧٢.
(٢) الرعد ١٣: ٢٢.
(٣) الروم ٣٠: ٣٨.
(٤) الروم ٣٠: ٣٩.
(٥) الدهر ٧٦: ٩.
(٦) الليل ٩٢: ٢٠.
(٧) نقض المنطق ٣، شرح حديث النزول: ٣٢ ومواضع أُخرى.

والثانية: أنّه رغم تشديده على أنّ عقيدته هي عقيدة السابقين من الصحابة والتابعين، فهو لم يستطع أن يأتي بشاهد واحد من قول صحابيّ، ولا واحدٍ من الجيل الأوّل من التابعين!.

فواخيبة المَسعى وضيعة الأيّام..

ثمّ من سيعود بعد هذا باللائمة على أُناس يقف أحدهم على مثل هذه الكلمات الجازمة، والتقريرات القاطعة التي يبني عليها الشيخ تقيّ الدين ابن تيميّة عقيدته، من مثل قوله: (باتّفاق أهل العلم) و (إجماع السَّلَف) و (قول السَّلَف) و (لم أجد إلى ساعتي هذه عن أحد من الصحابة أنّه تأوّل شيئاً من آيات الصفات) ونحو هذا، فيخشع لها ويُسلّم ؟! فكيف لا وهي أقوال (شيخ الإسلام) و (إمام عصره بلا منازع) ؟!.

وهل يتسرّب إلى ظنّ القارئ ـ مسلماً كان أو غيره ـ أنّ أحداً من علماء الإسلام يمارس هذا المستوى من المغالطة والإيهام، حتّى مع أتباعه ومقلّديه ؟!.

والغريب أنّه بعد ذلك يردّ على أحد معاصريه فيقول: إنّه أساء الأدب مع السَّلَف حين نَسَبَ إليهم ما لا يصحّ عنهم![1].

---

(١) تفسير سورة النور: ١٦٥.